

مفاهيم وقضايا حول المقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسي 1830-1916

Concepts and issues about the Algerian resistance to the French occupation 1830-1962

(1)* ط.د بشري عليوش قريوع	(2) ط.د صورية مزيز
جامعة قالمة 8 ماي 1945 مخبر التاريخ للأبحاث والدراسات المغاربية (الجزائر)	جامعة قالمة 8 ماي 1945 مخبر التاريخ للأبحاث والدراسات المغاربية (الجزائر)
alliouch_kerboua.bouchra@univ-guelma.dz	maziz.soraya@univ-guelma.dz

تاريخ الاستلام: 2023/02/21 تاريخ القبول: 2023/02/26

الملخص:

تعالج هذه الورقة البحثية التي بصدد تقديمها إلى الكشف عن المجريات والمضامين التي أسست للمقاومة الجزائرية خلال الاحتلال الفرنسي، فبغض النظر عن أن الاستعمار له جذوره التاريخية، والمسلمون قاوموا منذ القدم على فترات زمنية مختلفة، فإن المقاومة الجزائرية خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين اتخذت مفاهيمها وأبعادها وأسبابها وارتبطت بدخول الاستعمار الفرنسي وسياسته، التي سعى من خلالها إلى إلغاء الوجود العثماني، من ثم القضاء على الكيان الجزائري ومقوماته، الأمر الذي تطلب فتح المجال لرد فعل رسمي وشعبي الذي استمر في الأخذ على عاتقه سبل الكفاح التي عبر عنها في أشكال مختلفة بين مقاومة مسلحة من جهة وسلمية من جهة أخرى لتحقيق غايته في استرجاع البلاد من الاحتلال الفرنسي.

الكلمات المفتاحية: المقاومة المسلحة، المقاومة السلمية، الاحتلال الفرنسي، الجزائر، الحكم العسكري، الحكم المدني.

Abstract:

This research work, about to be presented, deals with the disclosure of the processes and contents that established the Algerian resistance during the French occupation. Its dimensions and causes were linked to the entry of French colonialism and its policy, through which it sought to abolish the Ottoman presence and then eliminate the Algerian entity and its components, This required paving the way for an official and populist reaction. Who continued to take upon himself the means of struggle that he expressed in various forms between armed resistance on the one hand and peaceful on the other hand to achieve his goal of recovering the country from the French occupation.

Keywords: Armed resistance; peaceful resistance; French occupation; Algeria; military regime; civil rule.

مقدمة:

تميز القرن التاسع عشر بهيمنة فرنسية أوروبية على البلد الجزائري، فبعد احتلال سنة 1830 أخذ المستعمر يشن حملاته التوسعية قاصدا بذلك التوطن في العقل والأرض، الأمر الذي استوجب رد فعل سريع وفوري ليشهد القرن مقاومة رسمية وشعبية قوية عبرت عن رفض القبلة للاستعمار، وبالتالي فإن المقاومة، وما يرتبط بها من معاني التعبير عن رفض الهيمنة والاستغلال وقهر السلطة الأجنبية فهي تحمل مفاهيمها ومدلولاتها الراضية لسلطة الكافر لبلد مسلم، متخذة جل سبل الكفاح المسلح والسلمي قاصدة تحقيق قضيتها و مطلبها في التحرر، ولذي استمر و امتد عبر مراحل الى مطلع القرن العشرين، لتعرب عن ميلاد نخبة الوطنية التي تولت الدفاع عن مطالب المجتمع الجزائري بمفهوم ينطبق على حالته التي تفرضها الظروف وفق قناعات عبروا عنها عبر وسائل كفاحهم التي استقرت وانتهجت المنهج السلمي في الكفاح.

ويتمحور الإشكال الرئيسي لهذه الدراسة في معرفة مفهوم المقاومة والتغيرات المرتبطة بها من خلال الظروف والعوامل التي مهدت لها ومدى قناعة الجزائريين بالقضية الوطنية المطالب بها منذ الاحتلال الفرنسي الى مطلع القرن العشرين؟ وتتجلى أهداف هذه الدراسة في التعريف على فكرة المقاومة عند الجزائريين خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية والقضايا المرتبطة بها وان اختلف في الأسلوب والسبب فهي تتفق في المبتغى والمطلب، كما تكمن الأهمية في محاولة تقديم نظرة شاملة عن المقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسي خلال الفترة الممتدة ما بين 1830-1916، معتمدين في ذلك على آليات وتقنيات منهجية تعتمد على جمع المادة العلمية وإعادة صياغتها عن طريق المنهج الوصفي والتحليلي.

1. مفاهيم المقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسي:

ارتبط ظهور المقاومة بتواجد الإنسان فيه قديمة بقدم البشر فقد سجل التاريخ البشري العديد من حالات اعتداء شعوب على أخرى، احتلالا لأرضها وقهرا لسكانها، عبر مجموعة من القوانين والإجراءات التي تهدف الى قمع الشعوب والسيطرة عليها وظهرت المقاومة كرد فعل مشروع لإلغاء القوانين والإجراءات التعسفية التي تصدرها سلطات الاحتلال. ويطرح مفهوم المقاومة سياسيا عندما تقع جغرافية ما تحت وطأة احتلال أجنبي يحاول مصادرة حقوقه الطبيعية على أراضيه، ونهب ثرواته وتحويله شيئا فشيئا الى مجرد تابعا سياسيا واقتصاديا وعسكريا.¹

1.1. تعريف ومفهوم المقاومة (Résistance):

¹ منصور أبو كريم، تطور مفهوم المقاومة في الفكر السياسي، دار الجندي للنشر والتوزيع، القدس، 2018، ص 33.

لغة: أصلها من مادة (ق، م) والمصدر قاوم ويدخل في معانيه القوامة ولذلك سمي الجماعة من الرجال قوم¹ قال الله تعالى: "... لا يسخر قوم من قوم..."²، وقام يقوم قوما وقومه وقياماً، بالكسر وقامة: انتصبت، وقاومته-بالكسر- قمت معه، ومنه المقاومة وفي المصارعة ويقال: تقاوموا في الحرب بعضهم لبعض."

اصطلاحاً: ارتبطت بالمدافعة ورد الأذى، والدفع أصل يدل على تنحية الشيء أي إزالته لما فيه من السوء والأذى، ودفع الشيء نحاه وأبعده.³

وعرفت في القاموس على أنها "مجابهة القوة بالقوة وهي أسلوب من أساليب مواجهة الاستعمار"⁴ جاءت أيضا على أنها: "حركة سرية مناهضة للعدو المحتل تقاومه بالسلاح والتخريب كي تفرض مضاجعة، تبرهن على وجود كيان الأمة المحتلة."⁵

"فعل إنساني إرادي واع ومسؤول لمواجهة كل إشكال العدوان، وإحقاق الحق وحمايته والحفاظ على الوجود والعيش بكرامة وحرية بمعنى أن المقاومة إنسانية ليست مجرد مجابهة غريزية للعدو الغازي، وليست مجرد عنف، إنها دفاع مشروع عن حياة ضد من يعمل على قتلها، واجتثاث القيم الإنسانية النبيلة، فإذا كان الصراع حول المصالح والهيمنة نتيجة استشعار القوة الغاشمة فان المقاومة خلاصة منطقية وموضوعية لإرادة الحق، والتصميم على احترام القيم النبيلة، والمبادئ الثابتة في الحق والخير والجمال."⁶

وردت في المادة الثانية من لائحة لاهاي لعام 1907 المتعلقة بقوانين وأعراف الحرب البرية، الشعب القائم أو المنتفض في وجه العدو بأنه مجموعة من المواطنين من سكان الأراضي المحتلة، الذين يحملون السلاح ويتقدمون لقتال العدو، أكان ذلك بأمر حكومتهم أو يدافع انتمائهم الوطني، وعليه أضحي من واجب الشعوب المتعرضة للعدوان أن تهيب للدفاع عن نفسها وحقوقها.

ويقصد أيضا بالمقاومة والحركات المنظمة لها "بأنها عبارة عن منظمات شعبية أخذت على عاتقها مهمة تحرير شعوبها وأوطانها من التواجد العسكري الأجنبي فوق ترابها، وتستمد المقاومة شرعيتها من تأييد الجماهير لها، وتتخذ عادة من أقاليم البلاد المحيطة حرما لها تستمد منها وتدريب قواتها" كما تعتبر المقاومة الشعبية بأنها منظمات وطنية ذات جناحين سياسي وعسكري تنشأ في البلدان المستعمرة، تقود كفاحا مسلحا من اجل التحرر وحق تقرير المصير، وهدفها الضغط على المعتدي وإجباره على التنازل عن ارضي التي يحتلها أو وقف عدوانه وتستعمل كل الوسائل بما فيها القوة المسلحة لدرء العدوان، وإزالة الاحتلال والاستعمار، وتحقيق الاستقلال، ورفع الظلم المسنود بالقوة المسلحة.⁷

كما أكد ت.أو.رانجر أن المقاومة إحدى علامات نمو القيم القومية بل أنها أعلى مراحل تطورها، وان العمليات الكفاح لم تكن مجرد انفجارات آتية من العدم، بل كانت استمرار تاريخي لحركات الكفاح والمقاومة التي قامت ضد الغزو وحكم المستعمرين.⁸

¹ عمار بن محمد بوزير، مقاومة أحمد باي في الشرق الجزائري ظروفها ومراحلها ونتائجها، شبكة الالوكة، الجزائر، 2016، ص4.

² سورة الحجرات، الآية 11، ص516.

³ عمار بن محمد بوزير، المرجع السابق، ص4.

⁴ صبحي محمود، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، 2001، ص120.

⁵ محمود المسعدي وآخرون، القاموس الجديد، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1972، ص1119.

⁶ حسين جمعة، ثقافة المقاومة إعادة بناء الذات العربية، دار رسلان، دمشق، 2014، ص26، 27.

⁷ منصور أبو كريم، المرجع السابق، ص35، 36.

⁸ علي أ. مزروعي وآخرون، تاريخ إفريقيا العام إفريقيا منذ عام 1935، المجلد 8، يونيسكو، دت، ص514.

وتهدف الى صد أي عدوان خارجي، من أجل الاستقرار والاستمرار والحرية وهي من مرادفات الثورة والانتفاضة والتمرد والعصيان ولكن التطبيع السياسي الحديث غلب على مفهوم الثورة بصفتها حركة منتظمة من الأشخاص ومراتبهم وتنتهج تقسيم الأعمال والجماعات الثورية الى فرق ومصالح وغيرها، والمقاومة لها تقريبا سبب واحد لأنها لا تحدث إلا إذا حدثت إثارة أو اعتداء فهي رد انفعالي سريع غير مدروس بعمق وإن تطلبت جمع الصفوف والقوى، أما الثورة لها أكثر من سبب، ويمكن أن تحدث فجأة مثل الثورة الجزائرية عام 1954 حدثت بهجومات الثوار الجزائريين بينما الحال راكدا تحت وطأة الاستعمار.¹

وعليه فالمقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسي، وأي احتلال لم تصدر عن تحديات الانفصال، وعناصر الدهشة باحتلال الأرض "الوطن"، وإنما هي تجربة شعبية نضالية تضج بعاطفة الانتماء والروح الوطنية المرتبطة بعدد غير قليل من المفاهيم والآراء،² وقد انطلقت مع بداية الاحتلال لدفع العدو عن الوطن وردة على أعقابها من حيث أتى، وذلك منذ نزوله بسيدي فرج يوم 14 جوان 1830، واستمرت طوال فترة القرن 19 وتواصلت الى القرن العشرين، وإن اتخذت أشكال عدة.³

كما أنها ذلك الشعور الذي ساد بين الجزائريين بالتضامن لمواجهة الاحتلال والقضاء عليه منذ الوهلة الأولى للاحتلال، وقد تمثل هذا الشعور في الانضمام الى الجماعات الوطنية والدينية التي مثلتها مختلف الزعامات كالأمير عبد القادر واحمد باي وغيرهم⁴ ومختلف الطرق الصوفية التي تعتبر المقاومة جهاد وحلف ووعد مع الله ضد الدخيل الذي يرفض الشروط الإسلامية ويمارس إخضاع المسلم له.⁵

وبالتالي فالمقاومة رد فعل لمواجهة العناصر الدخيلة لرد أي اعتداء أجنبي، فالجزائريون لم يتقبلوا الوجود الفرنسي منذ عام 1830 حتى عام 1962، ورفضوا مناوئاته وأساليبه وإغراءاته واتخذت أحيانا مظهرها صارما اتجاه إجراءاته القانونية والإدارية أو العسكرية حتى وإن كانت حضارية ثقافية.⁶

مبادئ المقاومة:

✓ مبدأ الهوية الذي يؤسس المطالب.

✓ مبدأ المناهضة الذي يجدد العدو وطبيعة الصراع.

✓ مبدأ الشمول الذي ينزل العمل تحت راية القيم أو القضايا التي تعد قيما إنسانية خالدة.

تستدعي هذه المبادئ التصدي للاستعمار بوجهيه السالب الناهب والمستلب لم تنتظم في نسق محدد متكامل المفاهيم والآليات متماسك الأركان شأنها في ذلك شأن إيديولوجية المقاومة.⁷

¹ عتيق العربي، انثروبولوجيا المقاومة الجزائرية دراسة حالة الأمير والمقراني والشيخ بوعمامة، دكتوراه علوم في علم الاجتماع، قم علم الاجتماع، جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله، 2017-2018، ص120.

² حسين جمعة، المرجع السابق، ص 27.

³ محمد لحسن زغبدي، شخصيات نموذجية في المقاومة والإصلاح والحركة الوطنية والثورة التحريرية، منشورات الجبر، الجزائر، 2009، ص 5.

⁴ عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل، بيروت، 1991، ص26.

⁵ عتيق العربي، المرجع السابق، ص134-136.

⁶ محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954، دار البعث قسنطينة، الجزائر، 1985، ص17.

⁷ عبد المجيد البدوي، مواقف المفكرين العرب من قضايا النهضة في العالم العربي من مطلع القرن الى موفى الستينات بحث في الثوابت والمتغيرات، مركز النشر الجامعي، تونس، 2014، ص 53، 63.

محمل القول هو أن المقاومة هي رد فعل وطني مشروع ومستمر متنوع بين مسلح وسلمي حسب الظروف المحيطة به، ضد فعل استعماري مستمر وغير قانوني، ويتضمن هذا المفهوم عدة أبعاد تشمل المفاهيم التالية:

2.1. مفهوم المقاومة السياسية:

تمثل في رفض سلطة الكافر المحتل وسياسته المنتهجة ضد المسلمين الجزائريين بشكل سلمى عبر عدة وسائل منها كتابة العرائض، المطالب والفعل الدبلوماسي الذي يعتبر أحد نماذج الحوار المدني للمقاومة في الجزائر¹ ابرز ممثليه مع بداية الاحتلال نجد حمدان خوجة كونه مثقفا مزدوجا²، ومع نهاية القرن 19 تمثل في شخصية محمد بن رحال الذي كان هو الآخر مثقفا مزدوجا إماما ثم قاضيا وبرلمانيا، لقد سعت هذه النخب لتمثيل الجزائريين سياسيا من خلال محاور السلطة الاستعمارية من أجل الدفاع عن الشعب الجزائري، وممثل للنخبة الجزائرية، وقد اختلفت تطلعاتهم عن المقاومات الثورية التي مهدت الى معرفة طرق واقتصاد ومناهج الاستعمار للكشف عن سبل الكفاح التي تعاشها الظروف.³

3.1. مفهوم المقاومة الاقتصادية:

شكل من أشكال المقاومة ذو طابع سري أكثر منه علني يشمل رد فعل على السياسة الفرنسية في هذا المجال الاقتصادي المعبر عنه مثلا برفض دفع الضرائب، مقاومة احتكار الأراضي مثله بشكل خاص الطبقة الفلاحية التي قاومت ببطء توسع القطاع الاستعماري معتمدة على الوسائل المالية البسيطة بالمقارنة مع وسائل الاستعمار الكبير فقد استطاعت أن تحاصر وأحيانا صده جزئيا مثل ما حصل من عام 1900-1914 في منطقة قسنطينة بشكل خاص.⁴

4.1. مفهوم المقاومة الاجتماعية:

جاءت كرد فعل على سياسة العنف والقوة والعنصرية والإدماج للاحتلال الفرنسي ضد الشعب الجزائري المحتل، والذي عمل خلالها الاحتلال على التفريق بين أبناء الوطن بممارسة سياسة الفصل بين العرب والبربر ففي عام 1849، فصلت السلطات الفرنسية منطقة القبائل الصغرى عن بقية البلاد ثم قام الجنرال بيجو بإنشاء إدارة مستقلة في منطقة القبائل الكبرى عام 1853 في محاولة لعزل البربر عن بقية أنحاء البلاد وعن إخوانهم العرب المسلمين، وإخضاع المنطقة لنظام إداري وقضائي خاص بها، وأنشأ مجالس الجماعات البربرية، التي كانت تدير شؤون القبائل بل وأصدرت قرارات التي تخرج هذه المناطق من نطاق القضاء الإسلامي في المقابل مهدت لعمليات تبشيرية وصرح الجنرال بيجو قائلا: " أن أيام الإسلام الأخيرة في الجزائر قد ماتت ولن يكون في الجزائر كلها بعد عشرين عاما من اله يعبد سوى المسيح".⁵

كما عمل على جعل الجزائريين رعايا فرنسيين يحق لهم الحصول على الجنسية الفرنسية بشرط التخلي عن أحوالهم الشخصية الإسلامية لكن هذا القانون فشل في استقطاب الجزائريين الذين تمسكوا بوطنهم وانتمائهم الثقافي حيث لم يتجاوز من قبل الجنسية من

¹ عبد القادر جغلول، تاريخ الجزائر الحديث دراسة سوسولوجية، ترجمة فيصل عباس، دار الحداثة، بيروت، 1982، ص 73.

² عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض، بيروت، 1980، ج 1، ص 137.

³ عبد القادر جغلول، المرجع السابق، ص 72-75.

⁴ عبد القادر جغلول، المرجع نفسه، ص 129، 130.

⁵ محمد علي داهش، دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر، دار مركز الكتاب الأكاديمي، دم، 2014، ص 19.

1865-1919 حوالي 2500 ألف جزائري¹ وهي نسبة قليلة مع نسبة السكان التي بلغت حسب إحصاء سنة 1921 حوالي خمسة ملايين نسمة²، وقد جاء التفكير الإمبراطوري كمحاولة لتوجيه نظرة وتفكير الأهالي من المطالبة بالاستقلال الى المطالبة بالمساواة وإقناعهم أن ما فشلوا في الحصول عليه عن طريق الحرب سيحصلون عليه بالتدرج في المطالب³.

5.1. مفهوم المقاومة الثقافية والدينية:

تعني الاعتراض ورد الهجوم لصد العدوان أو الغزو أو للحفاظ على الهوية في مواجهة الغزو الثقافي والديني من خلال التمثيليات، التعليم، الأشعار، الأغاني، والتمسك بالديانة الإسلامية.....الخ⁴، خاصة أن الاحتلال ركز على ضرب ومحاربة اللغة العربية ومؤسساتها الثقافية والدينية، باعتبار اللغة العربية وعاء الدين الإسلامي لأن فهم الدين لا يتم إلا بها والقضاء عليها يحيل الى القضاء على الدين الإسلامي. وأكد القائد الفرنسي رين أنه: "كان للغزو الفرنسي نتائج وخيمة... منذ وضعت السلطات المحتلة يدها على المنشآت العامة، ولم يبق إلا بعض المدارس العديمة الشأن..⁵"

ما يمكن قوله هنا أن هذه المفاهيم نبعت من عدة أسباب نوردها فيما يلي:

2. أسباب المقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسي:

1.1. أسباب تتعلق بالاحتلال الفرنسي:

- طريقة تعامل السلطة الاستعمارية مع مشروع الاحتلال كان منذ البداية تضم العديد من القوانين والقرارات الاستفزازية التعسفية أهمها عدم احترام ما نصت عليه معاهدة الاستسلام 5 جويلية 1830.⁶

- تكريس تبعية الجزائر لفرنسا باعتبارها "جزء لا يتجزأ منها" بمرسوم رسمي ملكي يوم 22 جوان 1834 حيث تم الاحتفاظ بها واعتبارها من "الممتلكات الفرنسية في شمال إفريقيا" ولتحقيق ذلك عملت على:

1. تحطيم المجتمع الجزائري وتفكيك أواصره.

2. تغيير المعادلة الاقتصادية بما يلبي حاجيات السوق الفرنسية.

3. توطين العنصر الأوروبي ليحل محل الجزائريين بعد طردهم ومصادرة أراضيهم وممتلكاتهم⁷ وبالتالي إقامة كيان اجتماعي غريب.

4. إقامة نظام سياسي جديد.

5. ربط الشعب الجزائري، بحضارة الاستعمار.⁸

¹ نفسه، ص 20.

² محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ترجمة أحمد بن البار، شركة دار الأمة، الجزائر، 2011، ص 21.

³ علال الفاسي، الحركة الاستقلالية في المغرب، دار الطباعة المغربية، المغرب، دت، ص 7، 6.

⁴ أحمد بن داود، المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي في كل من الجزائر والمغرب من خلال التعليم 1920-1954، شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة احمد بن بلة، وهران، 2016-2017، ص 141.

⁵ محمد علي داهش، المرجع السابق، ص 18، 19.

⁶ حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، ترجمة محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، 2005، ص 210.

⁷ محمد رزيق، الاستعمار الفرنسي في الجزائر من خلال شهادات واعتراقات اكبر قادة وضباط فرنسا وخبرائها 1830-1871، دار قرطبة، الجزائر، 2021، ج 2، ص 63، 9.

⁸ عميروحي أحמידة، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى الجزائر، 2004، ص 103، 104.

- سياسة الاستعمار الفرنسي القائمة على الاستيطان والتنصير وفرض القوانين الاستثنائية ومصادرة الأراضي وفرض الضرائب....الخ. حيث عمل الاستعمار على التهجير الواسع للأوروبيين من فرنسا و أوروبا الى الجزائر من أجل التوطين والتوسع الاستعماري.
- إلحاق الجزائر بفرنسا بموجب مرسوم 4 نوفمبر 1848، مما جعل الاستعمار يتوجه نحو المناطق الداخلية والنائية لإتمام الاحتلال¹، وعليه فقد اتضحت معالم سياسة استيطانية بهدف تغيير المعادلة البشرية والاجتماعية والمعادلة الاقتصادية وفوق كل ذلك المعادلة الثقافية والحضارية.² وسخر لذلك كل الوسائل التي تحقق غاياته، فقد عمد الحاكم العام بيجو وهو يدافع عن إستراتيجيته مخاطبا قادة الطواير قائلا: "...إن مهمتكم أيها السادة ليست ملاحقة العرب، هذا غير مهم بل في حرمانهم ومنعهم من الحصاد والجني والرعي،... قد تجدون هذا الأسلوب همجيا وبربريا، من يريد الغاية لا تهمة الوسيلة..." إلى جانب سياسة التقتيل الجماعي والنفي والتهجير.³
- تغيير نظام الحكم في الجزائر من عسكري الى مدني بمرسوم 24 ديسمبر 1870 والمعلن عنه في 9 مارس 1870.
- إصدار قانون كريميو الذي نص على التجنيس الجماعي لليهود 24 أكتوبر 1870، الأمر الذي لم يرحب به الجزائريون خاصة أن اليهود لعبوا دورا في دخول الاحتلال من خلال قضية الديون ثم إفشال المقاومات الى جانب أنهم ساهموا قبل ذلك في انحطاط الحكم التركي في الجزائر بسبب دخول بعد اليهود كمجندين في الجيش الانكشاري.
- الاحتلال الفرنسي لتونس عام 1881.
- إصدار قانون الأهالي 28 جوان 1881، إجراء تعسفي قيد حرية الجزائريين ضم مجموعة من العقوبات الزجرية التي يعاقبون على مخالفتها حددت بـ 41 مخالفة خاصة بالأهالي المسلمين وخفضت الى 21 مخالفة عام 1891، واستكملت بشكل نهائي في ديسمبر 1897.⁴ (تزامنت مع مقاومة بوعمامة)
- قانون التجنيد الإجباري 1912، خضع له الجزائريين بسبب حاجة فرنسا لحشد المحاربين استعدادا للحرب العالمية الأولى، والذي رفضه الجزائريين بشدة أعربت عنها مقاومة الاوراس 1916.

2.2. أسباب تتعلق بأوضاع الجزائريين:

- رفض الشعب الجزائري كل ما يتعلق بالاستعمار الفرنسي وسياسته الموجه ضد الجزائريين في كل المجالات.
- سوء الأوضاع الاقتصادية كالأعباء المالية في المنظومة الضريبية، حيث فرض على المسلمين الجزائريين الضرائب العربية وأخرى فرنسية، حيث دفع الأهالي عام 1870 مبلغ 14 مليون فرنك ضريبة عربية و 22 ضريبة أخرى، وفي أعوام 1885-1890 دفعوا مبلغ 4 مليون و 8 فرنكا منها 19 مليون ضريبة عربية وفي عام 1912 دفعوا 45 مليون فرنك ضرائب.⁵ ففي عام 1848 ارتفعت الضرائب على النخيل الى 60 سنتيما للنخلة الواحدة بعد أن كانت 45 سنتيما، زيادة بقدر 30%.⁶

¹ يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 12، 29، 31.

² محمد رزيق، المرجع السابق، ج2، ص8.

³ تلمساني بن يوسف، الاحتلال والتوسع الفرنسي في الجزائر 1830-1870، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2021، ج2، ص127.

⁴ يحي بوعزيز، سياسة التسلط، المرجع السابق، ص 27، 28، 38.

⁵ المرجع نفسه، ص42.

⁶ عبد الله المقلاتي، المشروع الفرنسي الصليبي الاحتلال للجزائر وردود الفعل الوطنية 1830-1962، دار بوسعادة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 58.

- سوء الأوضاع الاجتماعية مثل الكوارث الطبيعية التي عرفت الجزائر في عهد الإمبراطورية الفرنسية كانتشار المجاعات ما بين 1866-1868، وزحف الجراد عام 1868 الى جانب مصادرة الأراضي وما أدى الى تلف الزرع والأشجار والنباتات.¹
- محاولة فرنسا تفكيك البنية الاجتماعية وتحطيم العائلات أدى الى اصطدام بين مصالح العائلات، وأثارت الفتن والشقاق وبينكم واستمالتهم لخدمة مصالحها هذا التفكير الذي نظر له بأفكار الفرنسيين هدفه تسهيل عملية طرد الجزائريين من أراضيهم وتفكيك بنيتهم حتى تتوافق مع المشروع الاستعماري.²

2.3. أسباب ودوافع تتعلق بشخص المقاومة:

- إلغاء فرنسا للامتيازات الخاصة بالطرق الصوفية ومصادرتها لأراضي القبائل وتقليص صلاحياتها ومناصب مثل إلغاء امتيازات الزعاطشة الشيخ بوزيان، تقليص من نفوذ المقراني خلع زعمائها سي بوبكر وسي سليمان ولد حمزة من لقب الخليفة الى لقب "الباشا أغا" ونزع مناطق من نفوذهم.
- إنزال فرنسا مركز عائلة أولاد سيدي الشيخ إداريا.
- مكانة قادة المقاومة في الأوساط الشعبية أصحاب علم ودين وسلطة مثل احمد باي، الأمير عبد القادر، والمقراني.³

2.4. أسباب خارجية تتعلق بالمتروبول:

- سقوط الحكم الملكي وقيام الجمهورية الثانية في فرنسا يوم 4 مارس 1848 على اثر عزل الملك الفرنسي لويس فيليب والإطاحة بحكمه، وهذا ما اثر على الحياة السياسية بالجزائر إذ عزل الحاكم العام للجزائر الدوق "دومال" ابن لويس فيليب وتعويضه بالجنرال "كافيناك" في 3 مارس 1848. (تزامنت مع مقاومة الزعاطشة)
- الحروب الفرنسية البروسية عام 1870 التي نتج عنها انهزام فرنسا في معركة سيدان وسقوط نابليون الثالث وقيام الجمهورية الفرنسية الثالثة سبتمبر 1870. (تزامنت مع مقاومة المقراني)⁴

3. مراحل المقاومة الجزائرية:

1.3. الإطار التاريخي: يرتبط هذا التقسيم بمراحل نظام الحكم الفرنسي في الجزائر والذي قسم الى مرحلتين:

- المقاومة خلال الحكم العسكري (1830-1870) وهي المرحلة التي سيطر فيها القادة والحكام العاميين العسكريين الفرنسيين، الذين اعتقدوا انه من السهل الاستيلاء على كل المدن الساحلية الجزائرية مثلما حدث للعاصمة غير أن الأهالي قاوموا التوسع في الداخل ثم التفوا حول قادة المقاومة،⁵ بالرغم من أنها اتصفت في بدايتها بكثير من التعقيد والتشابك والاضطراب، وعدم التنسيق بين قادة المقاومة كما غلب عليها الطابع العسكري أكثر من السياسي لان طبيعة الاستعمار فرضت ذلك.

¹ يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 24، 25.

² محمد رزيق، المرجع السابق، ج 2، ص 19.

³ عبد الله مقلاتي المرجع السابق، ص 81، 58، 92.

⁴ يحي بوعزيز، سياسة التسلط، المرجع السابق، ص 13، 27.

⁵ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 204.

المقاومة خلال الحكم المدني (بعد 1870) كانت الأكثر زمنا في مدتها برز خلالها العديد من الشخصيات¹ أدت الى تطور فكرة المقاومة السلمية على حساب المقاومة المسلحة، انتهت بميلاد الحركة الوطنية الجزائرية، شهدت عدة مقاومات أبرزها مقاومة المقراني 1871-1872، مقاومة بوعمامة 1881-1908، مقاومة الطوارق 1881-1916، ثورة الأوراس 1916..... الخ

2.3. الإطار الجغرافي:

تعلق هذا التقسيم باتجاه التوسع الفرنسي من الاحتلال الجزئي الى الاحتلال الكلي الذي قابلته المقاومات الجزائرية في مختلف المناطق انطلاقات من ما يلي:

المناطق الساحلية (المقاومة في الشمال): بدأت من العاصمة الجزائرية وشملت الوسط فبعد تخلي السلطات التركية عن المقاومة تكونت لجان أهلية - في منطقة الجزائر - ضمت أهم العائلات الجزائرية وبدأت المقاومة على نطاق ضيق ولكنها كانت عنيفة وقاسية وخاصة في سهل (متيجة) الذي تحول الى ميدان للمعارك المتواصلة بين الجزائريين وجيش الاحتلال، واشتد ساعد هذه المقاومة على أيدي زعماء القبائل، مما جعل الفرنسيين الاستعماريين يشنون حملات تأديبية، على السكان العزل.

المناطق الغربية (المقاومة في الغرب): تمكن الفرنسيون من احتلال المرسى الكبير في 14 ديسمبر 1830 ثم احتلال قصبة وهران في 4 يناير 1831، وكان الباي حسان قد سلم المدينة وقلاعها دون مقاومة، ولكن السكان رفضوا هذا الاستسلام وقام هذا أمام هذا الرفض طلب الباي اللجوء الى القبائل في الجنوب، لكن الأمير عبد القادر رفض طلبه استنكارا لخيانة الباي، فاضطر الى مغادرة الوطن في 7 يناير 1831.

في حين طلب سكان مدينة تلمسان المساعدة من سلطان المغرب مولاي عبد الرحمان فعين ابن عمه المولى علي سليمان لنجدة أهالي تلمسان وانضمت إليه عدة قبائل بالمنطقة مثل قبيلة هاشم بمعسكر، ثم أرسل سلطان المغرب محمد بن الحمري الى تلمسان في عام 1831، الذي أيدته الزاوية التيجانية غير انه لم يتمكن من رد مدينة وهران.²

المناطق الشرقية (المقاومة في الشرق): باشر قائد الحملة حسب التعليم التي قدمت له للاحتلال عنابة والتي تمكنوا منها بعد ما وجهوا لها حملتين الأولى سنتي 1831، و 1832، واحتلال بجاية عام 1833، واتجهت عيونها لمدينة قسنطينة التي نجحت في احتلالها بعد معارك عنيفة عام 1837 ومنها التوغل أكثر في مختلف المناطق الشرقية³ الى الجنوب الشرقي ناحية منطقة الزيبان منذ 1838 وبسكرة عام 1844 .

المناطق الجنوبية (المقاومة في الجنوب): في إطار استكمال عملية وإستراتيجية الاحتلال الشامل اتجه الاستعمار الى باقي مناطق الجنوب.⁴

3.3. الإطار المفاهيمي والمتنوع: حسب طبيعة ونظام وممثل المقاومة التي اتخذت عدة أنواع وهي:

¹ يحي بوعزيز، حروب المقاومة بالجزائر كما صورتها الكتابات الفرنسية، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 2، المجلد 3، 1988، ص 156.

² عبد العزيز الشرف، المرجع السابق، ص 27. ينظر أيضا: تلمساني بن يوسف، المرجع السابق، ج 1، ص 67، 151.

³ تلمساني بن يوسف، المرجع السابق، ج 1، ص 255، 258، 269، 287.

⁴ المرجع نفسه، ج 2، ص 9، 12.

أ. **المقاومة الرسمية:** وهي المقاومة التي قادتها الدولة تشكلت معظمها من أصول تركية قاومت منذ بداية الاحتلال الفرنسي وانتهت بخسارتها في معركة سطوالي 19 جوان 1830 وتوقيع معاهدة الاستسلام يوم 5 جويلية 1830 وسقوط العاصمة، والتي بعدها بأيام غادرة الداوي ومعظم الحاميات التركية الجزائر، وانهارت جل المؤسسات العثمانية التي دامت ثلاث قرون، ولم تستطع الجيوش الرسمية للباياليكات التنسيق فيما بينها أو الاستمرار في مقاومة وفشلت في وقف الزحف الأجنبي،¹ بالرغم من إرسال الداوي وفود الى مختلف جهات البلاد الى البايك أو القبائل يدعوهم فيها الى الجهاد وطرد الغزاة لان قواته النظامية لا تحتوي الى على ستة آلاف جندي انكشاري،² غير أن مفهوم هذه المقاومة الرسمية عند أبو القاسم سعد الله امتدت الى غاية احتلال قسنطينة عام 1837، لان احمد باي تابع للسلطة التركية، رغم كل ذلك هذا لا يعنى أن المقاومة توقفت بل استمرت شعبية.

ب. **المقاومات الشعبية:** وهي المقاومة التي تولها الشعب لصد العدوان رغم فقدانه لقيادة وطنية واحدة لتجنيده، فبرزت عدت مقاومات قادها الجزائريون بمختلف مناطق منها مقاومة متيجة 1830-1832، مقاومة الزعاطشة 1848، مقاومة لا فاطمة نسومر 1854-1863... الخ³

ج. **المقاومة المنظمة:** تولها احمد باي 1830-1848 بالشرق، والأمير عبد القادر بالغرب 1832-1847.

د. **المقاومة السلمية:** مثلتها مجموعة من النخب السياسية منذ الاحتلال واستمرت الى منتصف القرن العشرين أبرز ممثلها حمدان خوجة، بوضربة وغيرهم.

هـ. **المقاومة الايجابية:** نقصد بها طريقة التفكير القائم على رفض قبول الاستعمار -قابلية الاستعمار- المعبر عنها بكافة الجهود التي خاضها الجزائريين من المقاومة المسلحة منذ 1830 حتى الحرب العالمية الأولى، الى التوجه السياسي الذي خاضوا به المعارك السياسية، الدينية والثقافية.

و. **المقاومة السلبية:** تمثلت في السياسية السلبية التي انتهجها الاستعمار الفرنسي وكيف تعامل الجزائريون مع مشاريع التشويه، التحريف والحضارة والابتلاع والاندماج واللغة الفرنسية التي وضعت بهدف القضاء على الكيان الجزائري ومقوماته ونشر ثقافتهم وديانتهم، في مقابل القضاء على الثقافة الأصلية، اللغة الوطنية، لكن فهم الجزائريين هذا السلوك فقاطعوا المشاريع الاستعمارية من خلال المقاومات المختلفة وان عادت عليه بسلبات نتج عنها الاعتداء، الإبادة، النفي، حرق المداشر، الاغتصاب....⁴

3.4. **الإطار المرحلي:** حسب تقسيم مراحل لكل مقاومة مسلحة فهي تختلف عن بعضها البعض في إطارها الزمني والمكان وحسب طريقة تناولها وتقسيمها من طرف المؤرخين ويمكن نمذجتها كما يلي:

أ. **مرحلة التحضير:** غالبا ما تقوم على محاولة ربط الاتصالات بالمقاومين وجلب الأنصار وكسب التأييد من اجل التخطيط والتشاور للإعلان عن المقاومة.

¹ أمال بن سمشة، الأداء البشري في الإدارة المحلية، مركز الكتاب الأكاديمي، الجزائر، دت، ص 121.

² عبد القادر فكاي، دراسات في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1962، النشر الجامعي الجديد، الجزائر، 2021، ص 16.

³ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ج 1، ص 155.

⁴ محمد الطيب العلوي، المرجع السابق، ص 18.

ب. مرحلة المواجهة: يمكن أن نطلق عليها أيضا بمرحلة القوة خلالها يسعى قادة المقاومة الى العمل المسلح بنشاط عالي، تصل في اغلبها جل المقاومة الى الانتصار وإلحاق هزائم معتبرة بالعدو، مم يجعله يعرض مفاوضات، أو معاهدات مؤقتة من اجل إعادة هيكلة صفوفه، التخطيط والقراءة لإفشال المقاومات واخذ نظرة شاملة تمكنه من معرفة نقاط القوة والضعف وأخذها بعين الاعتبار للقضاء عليها في المواجه اللاحقة في المقابل تسعى أيضا المقاومات الى إعادة تنظم نفسها ترصدا لحملات العدو.

ج. مرحلة الانهزام: تعرف أيضا بمرحلة الضعف التي شهدتها جل المقاومات بسبب تفوق العدو، وقد تنتهي باستشهاد قائدها، أو استلامه، أو اعتقاله ونفيه، أو إعدامه، أو فراره وملاحقته حتى خارج الجزائر.

4. قضايا المقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسي:

1.4. قضية استرجاع الجزائر من خلال المقاومة المسلحة (العسكرية):

سخر الجزائريون من أجل الدفاع عن موطنهم الجزائر كل السبل والإمكانات المادية والبشرية، وقد كانت بدايتها بالقوة المسلح التي عرفتتها مختلف المناطق الجزائرية، بعد هزيمة سطوالي يوم 19 جوان 1830 وسقوط العاصمة، حينما اتفقت المواقف التي اتخذها السكان في مقاطعات البلاد الشمالية الثلاثة: الوسط والشرق والغرب، ففي الوسط عقد اجتماع كبير لسكان منطقة متيجة عند أواخر شهر جويلية 1830 في تمنفوست، قد تمخض عنه قرار جماعي بضرورة حمل السلاح لمجابهة المعتدي في نفس الوقت قام سكان الشرق بقسنطينة بإحباط التمرد الذي قامت به بعض العناصر من عساكر الأوجاق التي استهدفت خلع احمد باي الذي كان عائد من العاصمة، ليتم توليته عليها من جديد، أما بالغرب الجزائري وبعد استلام مدينة وهران ودخول باي حسن تحت سلطة فرنسا قام سكان المنطقة المجاورة بفرض حصار عليها وتطويقها من كل الجهات، يتضح أن هناك إجماع وطنيا على ضرورة حمل السلاح لصعد المعتدين لجميع مناطق البلاد في مقابل غابت فكرة توحيد قيادة المقاومة في إطار تعبئة الجهود والإمكانات لمحاصرة العدو.¹ وعليه فان كل قاد الكفاح استجاب لنداء المقاومة ضد الغازي بقوة السلاح واغلبهم من نجد رؤساء القبائل، وعبد القادر والباي احمد بقسنطينة، وشرفاء الأربعينيات، بومعزة وبوغلة وعبد القادر و سي محمد الهاشمي وسي محمد بن سيف، والشيخ بوزيان من الزعاطشة وشيوخ القبائل سي صديق ولد أو عرب سي الحاج عمر، لالا فاطمة نسومر، حمزة من أولاد سيدي الشيخ 1864، الحداد والمقراني سنة 1971، وبوعمامة عام 1881، وغيرهم، وصرح عام 1871 جزائري خاضع لفرنسا يقطن في العاصمة: " إذا وصلت الثورة أبواب العاصمة وطلب مني دفعة كتف لرمي الفرنسيين في البحر لفعلت ذلك"، وهو ما تصوره ضابط أخرى: "وجدنا أنفسنا وسنجد أنفسنا أثناء وقتنا الطويل إزاء شعب لا يتحمل إلا بمشقة سيطرتنا وهو يلتمس كل الوسائل ويعتزم كل المناسبات ليتحرر."²

مظاهر وخصائص المقاومة المسلحة:

- طابعها الجغرافي الصعب حيث أدت طبيعتها الجيومورفولوجية المتمثل في كثرة الجبال وصعوبة اختراقها في عملية توسع المستعمر.
- صلابة المقاومة وشدتها في اغلب مناطق الوطن، والتي استمرت وتواصلت قرابة سبعين عاما.

¹ جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994، ص 159، 160.

² جلال صاري، محفوظ قداش، المقاومة السياسية 1900-1954 الطريق الإصلاحية والطريق الثوري، ترجمة عبد القادر بن حارث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص 13، 14.

- شارك فيها أغلبية الفئات الاجتماعية المختلفة ومقاومين كبار وصغار معروفين أو الذين اشتهروا خلال المقاومة كسي حمزة ولد بكر ولد سيدي الشيخ الذي استعانوا به قومه وكافوه على عمله معهم بتعيينه خليفة لهم على كل الجنوب الوهراني.

- اعتمادها على الوازع الديني والوطني الذي شجع عليه رجال الدين والطرق الصوفية على رأسهم الرحمانية من اجل حمل السلاح المعنوي والفؤوس والعصي، والخناجر وبعض بنادق الصيد، كمحاولة منهم تعويض نقص الأسلحة.¹

رغم ذلك فخلال الفترة الممتدة من 1830-1916 لم تلقى هذه المقاومة مطلبها ليتغير أسلوبها في الكفاح لعدت صعوبات من بينها:

تباين التركيبة الاجتماعية:

من المعلوم أن المجتمع الجزائري عشية الاحتلال كان ينقسم الى مجتمع مدني الذي تشكل معظمه من العثمانيين والحضرين والكرادلة ورجال المخزين ومجتمع ريفي الذي يمثل الأغلبية السكان الأصليين ذو مستوى اجتماعي متدين معظم افراده نرحوا نحو المدن وضواحيها، أدى هذا تباين بين الفئات داخل المدينة الى إضعاف المقاومة الوطنية وساعد على توسع الحملة الفرنسية.² وبناء على هذا فالجزائر كانت تفتقد لقيادة حقيقة تكون شبه منعدمة منذ العهد العثماني، فأغلبها منحصرة دينيا في العلماء والمرابطون، واقتصادية تكمن في أغنياء أو كبار التجار وملاك الأرض، وبالرغم من محاولتهم في التكتل أحيانا غلب عليهم عدم التفاهم والطموح والمصلحة و القراءة المنتظرة التي من شأنها إخراج العدو.³

مشكلة الخلاف بين شيوخ المقاومة:

في الشرق الجزائري يرى قائد المقاومة احمد باي انه خليفة الداوي حسين في الحكم بعد ما غادر الجزائر اثر توقيع معاهدة الاستسلام 1830، أما في الغرب برى الأمير عبد القادر انه وصل للقيادة هذه المقاومة عن طريق البيعة أي حكم شرعي، وحسب تقدير المؤرخ بوعزة بوضرساية أن حب الزعامة هي التي فرقت بين أحمد باي والأمير عبد القادر فذكر " أن حب السلطة والزعامة كان وراء رفض الأمير عبد القادر التحالف مع أحمد باي، مؤكداً أن المراسلات بين القائدين كان يشوبها التحفظ، مشيراً الى أن الأمير عبد القادر سقط في فخ الفرنسيين بمعاداته لأحمد باي."

وقد عبر أحمد باي في مذكراته قائلاً: "... كتب الى العرب يخبرهم بأنه أبرم الصلح مع الفرنسيين الذين اعترفوا بسيادته على كامل أنحاء البلاد وعليه يطلب منهم أن يتخلصوا من سلطاني." يفهم من هنا أن العلاقة بينهما متوترة فأحمد باي يتهم الأمير عبد القادر بالخيانة بعد ما وقع معاهدة تافنة مع بيجو يوم 30 ماي 1837.⁴

سياسة الاستعمار في التفرقة بين المقاومات:

حيث عمل الاستعمار على استمالة العائلات المتنفة والقبائل الى جانبها، وتضربهم بعضهم البعض من جهة أخرى، من خلال إذكاء نار الفتنة بينهم حيث نجد أبناء الأسر القوية مثل فرحات بن سعيد الذي عمل على استرجاع نفوذه الضائعة تارة تحت المظلة الفرنسية وتارة ممثلاً للأمير عبد القادر من جهة أخرى وعائلة بن قانة التي تنصلت من الحاج احمد باي بعد سقوط حكمه رغم صلت

¹ يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 155-159.

² عميرواي أحميدة، المرجع السابق، ص 102، 103.

³ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 1، ص 102، 103.

⁴ بوعزة بوضرساية، الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري رجل دولة ومقاومة 1830-1848، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2012، ص 180-189.

الرحم حفاظا على السلطة والمال وارتقى بن قانة في أحضان الفرنسيين وقاتل فرحات بن سعيد الى أن تخلص منه سنة 1842، ثم تفرغ لمحاربة خليفة الأمير في الزبان محمد الصغير بن أحمد بلحاج.¹

الى جانب العديد من الأسباب أخرى التي كانت سبب مهم أيضا في فشل المقاومات التي فصل فيها في بعض المقالات المتخصص في الموضوع.

2.4. قضية استرجاع الجزائر من خلال المقاومة السلمية (السياسية):

تبناها الجزائريين بعد سقوط العاصمة بعدما تحتم على الحضريين أن يخضعوا للنظام الاستعماري، فكان عليهم الدافع عن أنفسهم في الإطار القانوني ومن بين هؤلاء الأعيان الحضريين نجد أبو ضربة حمدان خوجة، اسطنبولي و إبراهيم بن مصطفى باشا، وحميدة بوقندورة، والحاج أمين السكة وغيرهم، معتمدين على التشكي والاحتجاج للسلطات الفرنسية في الجزائر وباريس، و الرأي العام المناهض للاستعمار، فحاولوا شرح القضية لجزائرية وتنفيذ ما نصت عليه معاهدة الاستسلام، وأشاروا لهم بما تقلدته شعارات الثورة الفرنسية من حرية، والمطالبة بالعدل والمساواة وأحقيتهم في حكم أنفسهم، وقد قدموا عرائض عديدة سنة 1831، مطالبين بحكومة إسلامية مستقلة للجزائر بالعاصمة وأشاروا في محاولة منهم لكشف نوايا فرنسا في الجزائر: "إذا ما عزمتم على بيع الجزائر العاصمة لملك ما، فاختاروا على الأقل وليا منا....أمروا سكان الجزائر العاصمة ومقاطعتها بأن، يختاروا من بين الأعيان الرئيسيين للبلاد رجلا عاقلا ومتنورا وتسلم له المدينة ومقاطعتها..." ومن أهم الشخصيات التي برزت أكثر حمدان خوجة² الذي تزعم أول حزب وطني سياسي عرف بلجنة المغاربية أو حزب المقاومة فاعتمد على القلم واللسان،³ فكانت له العديد من التدخلات حيث قدم:

- طعن لدى مجلس الدولة في شهر ماي 1833.
- عريضة للمارشال سولت 3 جوان 1833.
- وعرضها على ملك فرنسا 10 جويلية 1833 ومرة أخرى في 16 سبتمبر غير أن فرنسا قبلته بالنفي من الجزائر و جعلها جزء لا يتجزأ من بفرنسا ما دفعه للتآلف والترجمة.
- ألف عدة كتب منها كتاب " المرأة " سنة 1833 والذي شرح فيه وضعية الجزائر للرأي العام وندد بشدة التعسف والظلم الذي لحق بهم جراء الاحتلال الفرنسي ووصف حالتهم فيه قائلا: "وضع سكان الجزائر العاصمة التعساء تحت نير التحكم والإبادة وويلات الحرب جميعا".⁴

خصائص المقاومة السلمية:

- عبرت مفهوم مطالب السلمي للشعب الجزائري بمختلف الوسائل منها العرائض وإرسال الوفود، التشكي، الاحتجاج، والتأليف.

¹ تلمساني بن يوسف، المرجع السابق، ج2، ص10.

² جلال صاري، محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 10، 11.

³ عادل نويهض، المرجع السابق، ص137.

⁴ الجليلي صاري محفوظ قداش، المرجع السابق، ص11.

- النضال السياسي الذي شهده القرن 19 في المدن وقرى الجزائرية لم يتوغل في الأرياف لدى أوساط الفلاحين بالقدر الكافي عكس ما سنشده خلال القرن العشرين.
- عدم اعتماد العنف كوسيلة للدفاع عن الاستقلال بل الاعتماد على لغة الحوار.
- وقد أسهمت عدة عوامل في بروزها واستمرارها فيما بعد نجملها فيما يلي:
- فشل المقاومة العسكري مع مطلع القرن العشرين.
- الاحتكاك بالعالم الإسلامي الخارجي وبرود النهضة الإسلامية كجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده.
- ظهور الصحافة الأهلية كوسيلة عصرية أدرك الجزائريون أهميتها في إبلاغ الصوت الجزائري للرأي العام.
- بروز النخبة الجزائرية مزدوجة الثقافة.
- الحرب العالمية الأولى ونتائج عنها من إصلاحات، وكشف الجزائريين المجندين في الحرب نمط الحياة الفرنسية ومدى تمتعهم بالحرية.¹

بالرغم ما قدمته المقاومة السلمية خلال القرن 19 وإلى غاية منتصف القرن العشرين ألا أن الجزائريين أيقنوا ضرورة وأهمية الكفاح المسلح في تحقيق الاستقلال الذي اجبر المحتل على الخروج سنة 1962

● خاتمة:

رغم فشل مختلف المقاومات الجزائرية من 1830-1916 فنحن لم نكن ننتظر منها النصر وإنما المهم أنها عبرت عن رفض القابلية للاستعمار، كما أنها فندت ودحضت الأطروحة الفرنسية القائلة قبل الاحتلال " أن فرنسا تحتل الجزائر بدون مقاومة مسلحة، والاهم من ذلك فهي لم يكن دفاعها دفاعا عن العرش أو بسبب الجوع والفقر كما ادعت الكتاب الفرنسيين بل هي مقاومة نابعة من وعي شعب بأصالته ودينه ورفضه للاستعمار الفرنسي.

أسهمت المقاومات الجزائرية من 1830-1840 في تأخير السلطات الفرنسية في التوغل في بعض المناطق مثل بسكرة التي احتلتها 1844، والأغواط 1852، وكذلك المقاومات من 1840-1900 أخرت في سيطرة على بعض المناطق مثل أدرار 1901، وتمنراست 1904، كما كلفت العدو خسائر مادية وبشرية، وبلغ عدد معاركها مع العدو 2000 وشهدت ثورة المقراني 340 معركة وقال دوق أورليان عن مواجهة المقاومات الشعبية للجيش الفرنسي: "...ألحقت بالفرنسيين أضرارا أكثر مما ألحقته جيوش العدو الأخرى بأكملها، وقد حرمت جيوشنا من النوم لأنها أرغمتهم على أن يظل دائما في حالة استنفار..."

أدت الى تطور المقاومة السياسية التي سيتسع مفهومها مع مطلع القرن 20 بميلاد الحركة الوطنية ويقول أبو القاسم سعد الله في الكتابة الحركة الوطنية: "...مع ذلك فإنهم وبثورتهم المستمر، وحبهم لأرضهم وكرههم للأجانب حافظوا على الضمير الوطني الحي."

¹ محمد الطيب العلوي، المرجع السابق، ص 75-77.